تقرير لجنة مشيخة الازهر الشريف*

المؤلفة لفحص مشروع نعميم التعليم الاولى

(٧) توجد تحت مراقبة الازهر الشريف وبعض المعاهد الاخرى كتاتيب أساس التعليم فيها حفظ القرآن وتسمى تلك الكتاتيب التحضيريات لانها تؤهل البنين للانتظام في تلك المعاهد الدينية و يبلغ متوسط تلامذة تلك الكتاتيب ٢٥٠٠ وقد صرفت مشيخة الازهر في العام الماضي مكافأة سنوية لالف تلميذ من الكتاتيب التابعة للازهر . و بلغ مجموع تلامذة التحضيريات التابعة لمشيخة معهد الاسكندرية ١١٠١ في بعض السنين وفي استيلاء المشروع على تلك النسبة من مجموع ابناء الامة استيلاء على تلك التحضيريات التابعة للمعاهد او محوها وصد الذين يريدون تعليم ابنائهم القرآن الكريم من العلماء وغيرهم

(٨) ان جميع الفوائد الخلقية والعقلية والتهذيبية والسياسية والاجتماعية الخ الخ التي أفاضت لجنة الوزارة في بيانها وترتيبها على تعليم الطفل هي بنفسها مترتبة بدرجة مضاعفة جدا اذا كان أساس التعليم في تلك المدارس الاولية هو حفظ القرآن الكريم أو على الاقل حفظ نصفه وتعتقد اللجنة بحق انه اذا بذلت الحكومة مجهودها في هذا المشروع جاعلة نصب عينيها حفظ القرآن الكريم والعناية بتعليم الديانة الاسلامية لابناء المسلمين تكون قد نبتت الجيل المستقبل نباتا حسنا ورفعت الامة المصرية الى مكانها اللائق بها بين الشعوب الاسلامية وأهدت اليها من حيث انها شعب اسلامي روحا عالية في حياتها الادبية والاجتماعية بما تغرسه في نفوس الابناء من المثل الاعلى للتهذيب الاسلامي ولاجل ان تكون اللجنة غير مظنون بها انها مدفوعة في هذا القول بمحض الميل الديني من غير نظر الى الاصلاح تسلفت اللجنة نظر الحكومة الى أن الاحداث المجرمين الذين تتزايد نسبتهم كل سنة حسب الاحصاء الرسمي لا يكاد يوجد بينهم حدث ممن تعلموا في مدارس القرآن

*) تابع لما نشر في ص ٣٦٢ من الجزء السابع

واستظهروا جاء بامنه فكيف اذا نضم الى ذلك متمات الوسائل الاصلاحية التي يقتضيها المشروع

ولا يفوت اللجنة أن تنوه هنا بأنه يوجد عدد غير قليل من رجال البلاد المعدودين لم يتعلموا الا التعليم الاولي في تلك المكاتب المعهودة وقد أفادهم حفظ القرآن في فاتحة حياتهم تهذيبا في الاخلاق وتنويرا في العقل وتثقيفا في الحكم [انظر آخر الفقرة ١٥ من تقرير لجنة الوزارة] (١) حتى صارت الحكومة

---

(١) نص الفقرة ١٥ « رأي اللورد كرومر في الخطر السياسي » وقد أعرب اللورد كرومر باجلى بيان عن الخطر السياسي الذي ينجم من ترك غمار الشعب بلا تعليم فقال في كتابه « مصر الحديثة » الجزء الثاني صفحة ٥٣٤ ما يأتي :

« من المهم جدا من جميع الوجوه أن تبذل الحكومة جهدا متواصلا لوضع التعليم في مصر على أساس مكين ..... فانه من الحمق بل من الخطر أن توجد هوة سحيقة بين تعليم الطبقات العليا وتعليم طبقات الدنيا في بلاد شرقية تسير حكومتها بارشاد أمة من أمم الغرب الديمقراطية ..... ولا نقصد بذلك حط منزلة التعليم العالي أو الوقوف في طريقه . ولكنا نقول اذا كان لابد من ارخاء العنان له من غير أن تمس الحكومة باذى فلا مناص من إزالة غشاوة الجهل من غمار الشعب حتى يتمشى خطوة خطوة مع ارتقاء مدارك الذين سيقبضون على أزمة أموره . وليس من الحكمة أو العدالة في شيء ان يترك الشعب أعزل من تربية عقلية تحميه من وساوس أدعياء السياسة المتطفلين على موائدها الذين هم مع نقص تعلمهم لا يفترون عن القاء الهواجس والخزعبلات في آذانه التي لا ترد قول قائل . وليس ثمة في أوائل هذا القرن العشرين علاج عام ناجع يقي غائلة الأدعياء الا تعليم من يقومون قريبة لجاهلهم من أمي الامة تعليما يمكنهم على الاقل من ادراك ما يصدر من أولئك الدجالين من البهتان الذي كثيرا ما يستروه بظلاء لاغتهم وسفسطتهم السياسية »

ولنا في تاريخ روسية الحديث مثال وعبرة لما ننجم عن هذه الحال من الاخطار التي أنزلت بتلك البلاد فواجم نحن الآن منها أنينا .

نعم ان التعليم البسيط قد لا يمكن الفلاح اقروى من الوقوف على كنه المسائل السياسية العويصة والاحاطة بها . ولكنه قد يكفي كما قال اللورد برايس (Lord Bryce) بوصف ، ارتقاء من تأثيره في الولايات المتحدة بامريكا ، اضعاف قوة الحكم عنده حتى يستطيع تمييز الرجل العظيم من الدجل » (*)

(*) من كتاب « الجمهورية الامريكية » (The American Commonwealth) الجزء الثاني صفحة ٢٥٢ .

والبلاد تعتمد عليهم في كثير من شؤونها الادبية والاجتماعية خصوصا في فض الخصومات وحل المشكلات وهذا أكبر ماينتظره رجال الاصلاح من نتيجة ذلك المشروع فكيف اذا عنى بتعميم تلك المكاتب في انحاء القطر وزيد في تنظيمها واصلاحها مع المحافظة على جعل أساس التعليم فيها هو حفظ القرآن الكريم كما هو الآن

(٩) ان بذل الحكومة المصرية عنايتها في تعميم تعليم الشعب وتربيته على مبادئه الاسلامية بما في ذلك من حفظ القرآن الكريم الذي اعتاده من اثنا عشر قرنا يدرأ عن الشعب أخطارا اجتماعية واضرارا جمة أقلها تلك الفوضى الاخلاقية التي ينزع اليها النشء واتساع مسافة الخلف بينهم وبين آبائهم المحافظين على مبادئهم الدينية وبذلك يقع الانشقاق في الاسرات ويترتب عليه الاضرار الاجتماعية التي لاحظتها لجنة الوزارة [في الفقرة ١٧] (١) وليس هناك خلف أشق للعصا وأضر على الهيئة الاجتماعية من نشء يخرج على أمته وينسلخ من دينه بما يسمى الآن التعليم الحر أو حرية العقيدة ومما يثمره التعليم الاولي على أساس تلك المبادئ الاسلامية القضاء على حركة الجرائم والجنايات التي ضجت التقارير الرسمية من فشوها وزيادتها كل عام أو تخفيض نسبتها تخفيضا كبيرا على الاقل وتلك فائدة كبرى طالما بذلت الحكومة مجهودات جمة للحصول عليها وهاهي أولا ترى الناس الذين يحفظون شيئا من القرآن يتفاهون ويتواعظون في أسواقهم ومعاملاتهم الاجتماعية والادبية بقولهم هذا حرام وهذا حلال وقال الله وقال الرسول فاذا بطل هذا ببطلان حفظ القرآن

(١) نص الفقرة ١٧ « الانشقاق في الأسر » ومن النتائج الوخيمة التي نشأت من عدم تكافؤ أفراد الأمة في التعليم الانقسام الذي يشاهد في الأسر المصرية . فان الاميين من الآباء الموسرين كثيرا ما يرسلون أبناءهم الى المدارس الابتدائية والثانوية فتكون العاقبة أن الأبناء لا يمضي عليهم زمن طويل بها حتى تنزع نفوسهم الى ازدراء أهليهم الجهلة وحتى يطروا في عيشتهم المنزلية البعيدة عن النظام ويطرحوا عن عواتقهم ما لآبائهم عليهم من السلطان والنفوذ ويدب فيهم روح السخط والاستياء والعقوق. ولا مراء في أن ضعف النفوذ الأبوي على شبان البلاد بهذه المثابة يعود على الأمة بالاضرار الاجتماعية الجمة . ولكن ما الحيلة والواجب يقضي بان يبذل الآباء كل وسع في تعليم أبنائهم أرقى تعليم يستطيعونه ؟ فلم يبق إذن من الوسائل التي تكفل درء هذا الشر الا أن يعمم التعليم حتى لا يصل الفرق بين الأبناء والآباء الى الحد الذي وصفناه

من الكافة ضاعت الامانة وفسد الامن وفاض الغش والنفاق بين الافراد بعضهم مع بعض و بين الافراد وحكومتهم ووقعت الحكومة في سائر فروعها الادارية والاقتصادية والسياسية في مشكلات من الامور لاتتناهى فكل مايقال عن فوائد تعميم تعليم الشعب لايكون صحيحا وافيا بالغرض الا بشرط كون التعليم على المبادئ الاسلامية بذلك قضت طبيعة الشعب المصري الذي له ثلاثة عشر قرنا في الاسلام وعلى ذلك دلت التجربة في تربيته

(١٠) ان من القواعد الهامة التي تترتب على جعل حفظ القرآن أساسيا في التعليم الاولى تمرين الناشيء على النطق الصحيح وضبط الالفاظ العربية تمرينا عمليا فهو من جهة أخرى خدمة كبرى للغة العربية ولا سيما انها لغة البلاد الرسمية

(١١) نص قانون الازهر والمعاهد الدينية (بالمادة ١٣٩) على ان المجلس الاعلى للازهر والمعاهد الدينية هو المختص بوضع لائحة نظام ادارة المكاتب التحضيرية التابعة للمعاهد الدينية « والكتاتيب » والمشروع يقضي صريحا بأخذ هذا الحق جملة من سلطة المعاهد الدينية ورفع يدها عن تلك المكاتب الدينية بمحوها أو صيغها بصبغة أخرى

(١٢) وتختم اللجنة قولها بابداء النقيحة التي تراها في الموضوع وهو ان يجعل من مواد التعليم الاساسية في هذه المدارس حفظ القرآن الكريم وترى اللجنة لضمان حراسة هذا الشعار الاسلامي في تلك المدارس الاوليه وجوب اشتراك رياسة المعاهد الدينية في وضع منهج الدراسة لها ومراقبة سير التعليم فيها ولا غضاضة في ذلك على الوزارة فقد جاء في تقرير لجنتها أن حكومة بلجيكة بعد طرق شتى رأت أن الاوفق جعل التعليم الديني في مدارسها اجباريا تحت مراقبة الكنيسة ومعلوم ان تعليم الديانة في القطر المصري يبتدئ للبنين في حفظ القرآن الكريم

وتنوه اللجنة هنا بمنهج التعليم الذي أقره المجلس العالي للمعاهد الدينية بجلسة ٢٥ مارس سنة ١٩٠٥ للتحضيرات التابعة لمعهد الاسكندرية ومقدار أثره الجليل في مدة وجيزة وأقبال الشعب عليه حتى طلب أصحاب المدارس الاهلية في تلك المدينة الاندماج في نظام تلك التحضيرات ودخلوا طوعا تحت مراقبة مشيخة المعهد وأتت تلك التحضيرات بالنقيحة الهامة ولم تكن فائدتها قاصرة على مجرد التأهيل للالتحاق بالمعهد بل نفعت الذين اقتصروا عليها واشتغلوا بأشغال عمومية وذلك لما تعلمه تلك

التحضيرات مع حفظ القرآن الكريم من المواد الهامة النافعة في الحياة العملية كالخط والحساب والجغرافيا واللغة العربية وقواعد الصحة وعلم الاشياء وقد نصحت مشيخة المعهد كثيرا في تقاريرها الرسمية ان يحذو أصحاب المكاتب والمدارس الاهلية في أنحاء القطر المصري على هذا المنهج الذي دلت التجربة على نجاحه فضلا عن ملاءمته لطبيعة الشعب المصري وميول الآباء ،ونادت المشيخة المذكورة أولي الشأن الذين يعنون بمصلحة التربية والتعليم ان يأخذوا بيد هذا النوع من التعليم ويقضوا على الامية والجهل حتى ينهضوا بالبلاد الى ماتستحقه من الرقي والكمال

وتبدي اللجنة بمناسبة هذا الموضوع ملاحظتها على وزارة الاوقاف في تلك المبالغ الهائلة التي تدفعها سنويا الى وزارة المعارف العمومية لتدير لها كتاتيبها ومعلوم ان تلك المبالغ انما هي من ريع الاوقاف المرصودة على حفظ القرآن الكريم ولكن وزارة المعارف لم تر ذلك التفاتا لما ان اختصاصها هو احياء المعارف العمومية وليس لها اختصاص بالشؤون الدينية اختصاص المكلف بالشيء المسؤول عنه بدليل ان أكثر ماصنعته في منهج الدراسة الذي وضعته لتلك المكاتب سنة ١٩١٦ فيما يختص بمادة القرآن قولها عند مقرر كل سنة (يحفظ من القرآن ماامكن)، (الاستمرار على حفظ ما يمكن من القرآن) بينما هي تبسط القول في التشديد والعناية بالمواد الاخرى!

واذا كان هذا تساهل منهج الدراسة في القرآن فكيف يكون تساهل المعلمين فيه، وهل يمكن بعد ذلك القول بأنه يوجد في تلك المكاتب من يحفظ جزءا واحدا من القرآن فضلا عن حفظ جميعه الذي وقفت عليه تلك الاوقاف

هذا ما عن لنا والله يوفق الامة الى ما فيه الخير والصلاح وتفضلوا يا صاحب الفضيلة بقبول فائق احترامنا توقيع أعضاء اللجنة

محمد أحمد الطوخي محمود أبو دقيقه محمد علي خلف الحسيني

يوسف أحمد نصر الدجوي محمد عبد السلام القباني

(تم)